

المحاضرة الثانية عشر: الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830 - 1962 الأسباب والدوافع)

بداية:

تشير بعض الدراسات أن الأطماع الفرنسية للجزائر قديمة وأعدت لذلك عدة مشاريع من بينها مشروع فرنسوا فيليب سنة 1800 ومشروع ديبوا تانفيل سنة 1801 وصولاً إلى مشروع بوتان سنة 1808م والذي يعتبر الأرضية الأساسية التي أقيم عليها الاحتلال بالنظر إلى المعلومات الدقيقة التي يقدمها عن الجزائر سواء ما يتعلق بالطابع الطبوغرافي للمنطقة والتحصينات التي تحوزها الجزائر، أو فيما يتعلق بالزمن المناسب للحملة وعدد الجيش الضروري لذلك¹.

إن حقيقة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962) لا يرتبط أساساً بحادثة المروحة و إنما كانت مجرد ذريعة لتنفيذ المشروع الاستعماري الفرنسي لاقتلاع الشعب الجزائري من جذوره العربية الإسلامية، وقد أفصح ملك فرنسا شارل 10 - عن هذا التوجه الديني مصرحاً: " إن التعويض الحاسم الذي أريد الحصول عليه وأنا أثار لشرف فرنسا أن يتحول بمعونة الله لصالح المسيحية"، ونفس التعبير حمله التقرير الذي رفعه وزير الحربية الفرنسية إلى مجلس الوزراء يوم 14 أكتوبر 1827 م جاء فيه: " لعلهُ مع الوقت سيكون من حظنا أن نمدنهم وذلك لجعلهم مسيحيين ". فما هي الدوافع والأسباب الحقيقية للاحتلال الفرنسي للجزائر؟

أولاً: أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر:

هناك العديد من الأسباب المتميزة والتي شجعت فرنسا على احتلال الجزائر، وأتخذت حادثة المروحة كذريعة لاحتلال الجزائر، ولقد تنوعت هذه الأسباب بين السياسية، العسكرية، الاقتصادية والدينية، وهي كالتالي²:

1- الأسباب السياسية:

- بقاء الجزائر خاضعة للخلافة العثمانية في ظل الضعف؛ بدءاً من القرن 18م وإجماع القوى الأوروبية الكبرى على ضرورة تقسيم ممتلكاتها بعد انعقاد مؤتمر فيينا 1815 م ومؤتمر اكس لاشابيل 1818 م.
- التقارب الفرنسي/ الروسي ورغبة الملك شارل العاشر في التعاون الثنائي للسيطرة على المتوسط لتحجيم الدور البريطاني المتواجد بمنطقة جبل طارق ومضيق صقلية وجزيرة قبرص.
- محاولة الملك شارل العاشر توجيه الرأي العام الفرنسي عن المشاكل الداخلية الصعبة قصد إسكات المعارضة البرلمانية من خلال تحقيق نصر حاسم على الداوي حسين والانتقام لشرف فرنسا.

¹ عيد الكريم بوصفصاف، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج2، الجزائر: دار الهدي للنشر، 2013، ص 24.
² عيد المالك زغبة، «محاضرات في تاريخ الفكر السياسي»، موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم سياسية، (كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف-المسيلة-)، الموسم الجامعي: 2019-2020، ص ص 14-18.

2- الأسباب العسكرية:

- ❖ فشل حروب الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت التوسعية في أوروبا بعد السعي إلى بناء إمبراطورية استعمارية خارج القارة الأوروبية عبر إقامة محميات ومناطق استيطان تمتد من مصر شرقا إلى المغرب غربا.
- ❖ فشل حملة نابليون بونابرت على مصر (1798-1801) إثر نجاح حملة السلطان العثماني بقيادة محمد علي باشا وبمساعدة الإنجليز مما وّدت رغبة جامحة لدى الإمبراطور الفرنسي بتعويض الخسارة باحتلال الجزائر.
- ❖ دور الجاسوس الفرنسي بوتان الذي نجح في رسم مخططا عسكريا بعد مسح السواحل الجزائرية وتسليمه الى الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت عام 1809 م الذي نصحه باحتلال الجزائر برا من أقرب وأضعف نقطة بحرية قريبة من مدينة الجزائر وهي منطقة سيدي فرج.
- ❖ هزيمة الجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت في معركة " واترلو 1815 "م أمام تحالف قوى الرجعية الأوروبية التي أعادت أسرة " آل بوربون " إلى الحكم، وأنهت حكم نابليون بونابرت.
- ❖ وبداية التملل والفوضى داخل الجيش الفرنسي وتخوف الملك شارل العاشر من قيام الجيش بانقلاب ضده، فوجه الأنظار نحو احتلال الجزائر عام 1830م.

3- الأسباب الاقتصادية:

- هناك العديد من الأسباب الاقتصادية التي شجعت فرنسا على احتلال الجزائر، وأهمها:
- ❖ حاجة الصناعة التحويلية الفرنسية إلى الموارد الطبيعية الخام، فضلا عن الأسواق التجارية لتصريف الفائض من السلع والبضائع.
 - ❖ الحصول على الأراضى الزراعية الخصبة لإقامة المستعمرات الجديدة تحقيقا للأطماع الرأسمالية الفرنسية المتحالفة مع كبار ضباط الجيش والشخصيات النافذة في المجتمع الفرنسي.
 - ❖ رغبة الحكومة الفرنسية في الاستيلاء على الخزينة الجزائرية والبحث عن الذهب بمناجم الجزائر وتشجيع زراعة التبغ والحوامض وعنب الخمرة.
 - ❖ التخلص من الديون الجزائرية المترتبة على الدولة الفرنسية منذ إمدادها بكميات القمح خلال أيام الثورة الفرنسية 14 جويلية 1789.

4- الأسباب الدينية:

- ❖ دور الأسطول الجزائري في ممارسة الجهاد البحري إلى جانب الأسطول العثماني ضد القرصنة الأوروبية دفاعا عن الحدود وأمن الخلافة الإسلامية.
- ❖ استمرار الصراع أو التدافع الحضاري بين الإسلام من جهة والمسيحية من جهة أخرى.
- ❖ رغبة فرنسا في نشر المسيحية الكاثوليكية في الجزائر واعتبار العرب المسلمين أمة غازية لشمال إفريقيا التي كان سكانها مسيحيين في ظل الحكم البيزنطي.

❖ دور الكنيسة الكاثوليكية في تحريض الملك شارل العاشر وحث الفرنسيين على نصرته الصليب والتمكين للنصرانية في الجزائر.

❖ ربط المدنية الفرنسية بالديانة المسيحية؛ ما عدا ذلك فهو بربري معادي للحضارة، حسب تقرير وزير الحرب "لأنه من الممكن ولو يمضي الوقت أن يكون لنا الشرف في أن نمدنهم وذلك بجعلهم مسيحيين."

ثانياً: التواطؤ اليهودي الفرنسي في احتلال الجزائر:

1- دور اليهوديين آل بكري وآل بوشناق:

حرصت الحكومة الفرنسية في عهد نابليون على التزود بالقمح الجزائري لجودته ونوعيته الجيدة عن طريق الشركة الفرنسية المسماة الوكالة الوطنية لإفريقيا عند قدوم اليهوديين الثريين آل بكري وآل بوشناق من إيطاليا سنة 1770 م للاستقرار بالجزائر؛ اللذين استطاعا احتكار التجارة الخارجية للجزائر بعد حصولهما على موافقة **الداي حسين** باحتكار تجارة الحبوب مقابل دفع علاوات عالية للدولة، كما أقتع وزير خارجية فرنسا بذلك، وقد استمر تدفق القمح الجزائري نحو فرنسا حتى بلغت ديون الجزائر على فرنسا 24 مليون فرنك وقد توأمت الشركة اليهودية مع قنصل فرنسا الكونت **دي فال** ووزير الخارجية **تاليران** في دفع الديون دفعة واحدة قصد إحداث قطيعة دبلوماسية في العلاقات الجزائرية الفرنسية. وعندما عالجت الحكومة الفرنسية حقيقة الأمر؛ وافقت على دفع المبلغ إلى الخزينة الجزائرية على أقساط بمعدل 385 ألف فرنك فرنسي أسبوعياً، وبالفعل شرعت في تسديد الديون إلى أن بقي مبلغ 2.5 مليون فرنك، توقفت الحكومة الفرنسية عن التسديد مما زاد في تعقد أزمة الديون الجزائرية على فرنسا.

2- دور الدبلوماسية الفرنسية:

لقد ناشد **الداي حسين** حكومة فرنسا الحرة، بعدم بتجميد أموال الخزينة الجزائرية؛ فوجه ثلاثة رسائل إلى ملك فرنسا **شارل العاشر** الذي لم يكلف نفسه مشقة الإجابة عليها؛ عندها أدرك **الداي حسين** بأنه ضحية خديعة وتلاعب القنصل الفرنسي الكونت **دي فال** مع الشركة اليهودية خاصة بعد هروب اليهوديين **بوخرىص** و**بوشناق** من الجزائر خفيةً بينما التاجر اليهودي **بكري** أعدم على يد أحد جنود الإنكشارية، وقد اكتملت فصول اللعبة يوم 29-04-1827م بطرد **الداي حسين** للقنصل الفرنسي **دي فال** من القاعة الشرفية مشيراً له بمروحيته الخاصة واعتبار تلك الحادثة بمثابة إهانة لشرف الأمة الفرنسية!!! يتعين على **الداي حسين** تقديم اعتذار رسمي والانحناء أمام العلم الفرنسي أو يتحمل مسؤولية الخطأ الفادح.

3- احتلال مدينة الجزائر:

بتاريخ 11 جوان 1827م أرسلت فرنسا، قوة بحرية نحو سواحل مدينة الجزائر واشترطت على **الداي حسين** تقديم الاعتذار للقنصل الفرنسي **دي فال** على ظهر سفينة فرنسية ورفع العلم الفرنسي فوق حصون مدينة الجزائر خاصة فوق قصر **الداي** ومقر البحرية الجزائرية ثم توجيه التحية للعلم الفرنسي بمائة طلقة

مدفعية، وقد أُنذر الداي حسين بأن عدم الاستجابة لهذه المطالب في ظرف 24 ساعة يعني إعلان الحرب.

وبالفعل رفضَ الداي حسين الشروط المجحفة، وبذلك أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر يوم 16 جوان 1827م حتى لحظة سقوط مدينة الجزائر انطلاقاً من منطقة سيدي فرج بتاريخ: 05-07-1830م بعد توقيع معاهدة الاستسلام مع قائد الحملة العسكرية الفرنسية الكونت دي بورمون.

4- ابتهاج/سرور اليهود باحتلال الجزائر:

أبدى يهود الجزائر فرحة شديدة بعد توقيع الداي حسين معاهدة الاستسلام مع فرنسا يوم: 05-07-1830م ونجاح الغزو العسكري الفرنسي في احتلال الجزائر الذي زاد من نشاطهم في النهب والسلب والقتل بعد أن لعب كبار التجار اليهود خاصة (بكري وبوشناق) دوراً كبيراً في تعزيز صفو العلاقات الفرنسية الجزائرية، إثر أزمة الديون وتقديم المساعدة الكاملة للجنود الفرنسيين حول الأماكن والممرات، فكانت المكافئة عام 1870م عند حصولهم على الجنسية الفرنسية التي منحهم كامل الحقوق والواجبات، سلوكهم العدائي نحو الجزائر يعكس حقيقة واحدة هي شدة الكراهية والبُغض للعرب خاصة والمسلمين عامة.

دروس وعبر: لاشكّ وأنّ حادثة المروحة تعتبر مجرد ذريعة استعمارية لا أكثر؛ بينما الأسباب الحقيقية للاحتلال الفرنسي للجزائر متعددة نابعة من المشروع الاستعماري الذي حلم به الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت ونفذه الملك شارل العاشر بمباركة الكنيسة المسيحية ومساعدة الأقلية اليهودية المقيمة بالجزائر.